مركز الجزيرة للدراسات
ALJAZEERA CENTRE FOR STUDIES

تـقاريـر

المواجهات الإسرائيلية-الإيرانية في سوريا واحتمالات المستقبل
(قراءة إيرانية)

حسن أحمديان*

8 مايو / آيار 2019

Al Jazeera Centre for Studies
Tel: +974-44663454
jcforstudies@aljazeera.net
http://studies.aljazeera.net

قصف إسرائيلي لمواق في دمشق (رويترز)

مقدمة

بينما تضع الحرب في سوريا أوزارها لصالح ترتيبات أمنية وسياسية جديدة، تبرز أخطار المرحلة الجديدة في الزيادة المطردة للمواجهات الإقليمية داخل الحدود السورية وعلى أطرافها. ويمكن اعتبار المواجهات بين إيران وحلفائها من جهة وإسرائيل وداعميها من جهة أخرى أهم تلك المواجهات وأكثرها لفتًا للانتباه لاحتمالات اتساعها. فقد ازدادت في الآونة الأخيرة الاستهدافات الإسرائيلية للأهداف الإيرانية والسورية ولحزب الله على الأرض السورية. كما جرى الرد، وعلى مستويات غير مسبوقة، على بعض تلك الهجمات. ويبقى الباب مفتوحًا أمام احتمالات التصعيد. ولذلك، يدور نقاش إيراني مهم حول أسباب تلك المواجهة واحتمالات اتساعها. ويمكن رصد نقاش مشابه في إسرائيل والمنطقة يدور السؤال المحوري فيه حول أسباب التصعيد وإسقاطاته على المنطقة وعلى إيران و"محور المقاومة" بشكل عام.

مواجهات متصاعدة

بدأت الضربات الإسرائيلية على الأراضي السورية في يناير/كانون الثاني 2013 بغارة على موقع بالقرب من دمشق قيل إنها استهدفت موقع صواريخ أرض-جو ومجمعًا عسكريًّا محاذيًا له. وادَّعت إسرائيل لاحقًا أنها استهدفت في الهجوم مركبة كانت تحمل أسلحة مضادة للطائرات في المركز السوري للأبحاث العلمية. وتزايدت بعدها الهجمات الإسرائيلية على المواقع السورية وكذلك نقاط تموضع حزب الله وإيران في سوريا. وقامت بهجمات تركزت على مناطق بالقرب من دمشق والحدود السورية مع إسرائيل، قيل إنها استهدفت حمولات أسلحة متجهة إلى الأراضي اللبنانية أو قواعد/قوات إيرانية. فقد استهدفت إسرائيل، في يناير/كانون الثاني 2015، مجموعة في القنيطرة ضمت عناصر من حزب الله والحرس الثوري الإيراني، منهم القيادي في حزب الله، جهاد مغنية. واستمرت الهجمات الجوية الإسرائيلية وازدادت اتساعًا وكثرة مع

اقتراب الحرب السورية إلى نهاياتها. فقد قام الجيش الإسرائيلي بمئتي هجمة صاروخية وجوية ضد أهداف إيرانية في أقل من عامين حسب المصادر الإسرائيلية(1).

ولم تواجَه إسرائيل بردود تُذكر في البداية ما زاد من ثقتها بقدراتها العسكرية وعجز سوريا وحلفائها عن الرد. وبرز نقاش في إيران وبين أطراف "محور المقاومة" حول أسباب عدم الرد. وكان السبب الرئيسي، كما يبدو، انشغال تلك الأطراف بأولويات أخرى في الحرب المحتدمة آنذاك وترجيحها عدم إشعال جبهة أخرى على مستوى إقليمي. فحتى دخول روسيا الأزمة السورية تركز جل اهتمام هؤلاء على مواجهة الأعداء في الداخل. ولم تَلُحْ بوادر انفراج بالنسبة للنظام السوري وحلفائه الإقليميين حتى نهايات 2015. فقد أدى التطور الحاصل في سبتمبر/أيلول 2015 (الدخول الروسي) إلى تراجع المعارضة شيئًا فشيئًا حتى باتت محصورة في محافظة إدلب وبعض الجيوب المعزولة. وأطلق ذلك يد جزء مهم من القوات السورية وحلفائها للتركيز على التهديدات الإقليمية ومنها الهجمات الإسرائيلية.

بدأت ردود "محور المقاومة" على الهجمات الإسرائيلية في 2018 حيث تلقت إسرائيل ضربتين غير مسبوقتين منذ احتلال لبنان عام 1982. نزلت الضربة الأولى في فبراير/شباط 2018 عندما تصدت الدفاعات الجوية السورية لمقاتلة إسرائيلية من طراز إف-16 وأسقطتها. ورغم أن الحادث لا يبدو منعزلًا عن الضربات الجوية الإسرائيلية وتصدي الدفاعات السورية لها، إلا أن الفارق ظهر في التخطيط؛ فقد دخلت طائرة استطلاع إيرانية من دون طيار الأراضي المحتلة، حسب مصادر إسرائيلية. وبعد إسقاطها من قبل الدفاعات الإسرائيلية، أقدمت القوات الجوية الإسرائيلية على استهداف مواقع إيرانية وسورية وعندها كانت الدفاعات الجوية السورية بانتظارها وقامت بإسقاط المقاتلة الإسرائيلية(2). وردت إسرائيل بموجة من الضربات الانتقامية على مواقع مختلفة في الأراضي السورية ادعت أنها مواقع/قوات إيرانية(3). إلا أن إسقاط المقاتلة، كتطور غير مسبوق منذ 1982، رسم مرحلة جديدة علَّق عليها الأمين العام لحزب الله، السيد حسن نصر الله، بالقول: إن "ما قبل إسقاط الطائرة الإسرائيلية بسوريا ليس كبعده"(4).

وجاء التطور الثاني ليؤكد أن ثمة قرارًا على مستوى حلف "محور المقاومة" بالتصدي لإسرائيل واعتداءاتها على الأراضي السورية. فبعد أن استهدفت إسرائيل قاعدة T-4 في التاسع من أبريل/نيسان وقتلت 14 منهم سبعة إيرانيون، حسب التقارير، وقامت بضربة أخرى في الثامن من مايو/أيار 2018 استهدفت الكسوة جنوب العاصمة، دمشق، وقتلت 15 قيل: إن ثمانية منهم إيرانيون، قام محور المقاومة بإطلاق 55 صاروخًا على المواقع الإسرائيلية في الجولان ووقعت حرب الساعات الأربعة بين إسرائيل ومحور المقاومة. وأكد الأمين العام لحزب الله، حسن نصر الله، ذلك القرار بالقول: إننا "أمام مرحلة جديدة في سوريا، وما حصل كسر الهيبة الإسرائيلية، والتهديد بقطع اليد التي تمتد للجولان انتهى، فلا سوريا ولا حلفاؤها يسمحون أن تبقى سوريا مستباحة"(5).

بذلك، دخلت المعادلة السورية مرحلة جديدة. وبينما أعلنت إسرائيل أن عدد الصواريخ لم يتعد العشرين وأنها لم توقع إصابات ولم تصل أهدافها، كشفت التفاصيل الصادرة عن مصادر من حزب الله وأخرى إيرانية وسورية عن هجوم غير مسبوق وتستر إسرائيلي عليه. وأهم من ذلك كله، قيل: إن إسرائيل طلبت من أطراف ثالثة التوسط لإيقاف الحرب. هذا ما أكده السيد نصر الله ومصدر إيراني مهم(6). ونُشرت بعدها تقارير عن وساطة روسية للحد من التوتر لم تؤيدها إيران أو أي من حلفائها حتى الآن. ولم تتوقف المناوشات بعد ذلك؛ إذ يضع تباين الأهداف الجانبين أمام خيارات محدودة.

قوات الاحتلال الإسرائيلي في الجولان السوري المحتل(رويترز)

أهداف متجابهة

أعلنت إسرائيل مرارًا أنها محايدة في الأزمة السورية وأن لا علاقة لها بالحرب الأهلية هناك(7) إلا أنها اتخذت أهدافًا وسياسة بعيدة عن الحياد تطورت مع تطور الأزمة السورية. فقد هدفت في البدء إلى إضعاف سوريا دفعًا لها للابتعاد عن "محور المقاومة" أو لحملها وحلفائها على الانكفاء للداخل السوري. وظل ذلك الهدف يوجه الاستراتيجية الإسرائيلية لسنوات. ومع تطور الأحداث وتزايد حضور حلفاء سوريا وتقدمها أمام قوات المعارضة، تطورت الأهداف الإسرائيلية. ورغم بقاء طاقم الحكم في إسرائيل منقسمًا حول استراتيجيتها تجاه سوريا، أعلن وزير الخارجية، أفيغدور ليبرمان، عن ضرورة إسقاط النظام السوري في 2012. وركزت في مرحلة تزايد حضور حلفاء سوريا على منع إقامة قاعدة للمقاومة على الأراضي السورية على طراز حزب الله في لبنان. وبعد أن أبرزت تطورات سوريا واقعًا جديدًا تمثل بازدياد تلاحم "محور المقاومة" وزيادة قوته العملياتية بدل انعزال سوريا عنه، ركزت إسرائيل على وقف النفوذ الإيراني والقول بضرورة خروج إيران من سوريا. ويشكل ذلك اليوم هدف إسرائيل المحوري في سوريا.

وتواجه إسرائيل بأهدافها معضلة في المرحلة الجديدة؛ فمن جهة يؤدي إيلاؤها مواجهة الحضور الإيراني الأولوية إلى سياسة تهدف لإخراج إيران وحزب الله من سوريا، ومن جهة أخرى لا يبدو ساستها على استعداد للقبول بالبديل -استعادة الدولة السورية سلطتها على كامل التراب السوري. وتُعبِّر السياسة الإسرائيلية عن ذلك التناقض إذ تؤدي ضرباتها الجوية والصاروخية إلى عدم استقرار يفتح الباب أمام حلفاء سوريا لمواجهة تلك الضربات وملء الفراغ الحادث بالتالي. والواقع أنه ليس بمقدور إسرائيل التعايش مع أي من البديلين إذ لا ترى فيهما اختلافًا جوهريًّا. فمع استعادة الدولة سلطتها وعودة الاستقرار إلى سوريا في ظل حضور جبهة المقاومة على ترابها وولاء سوريا لتلك المقاومة سيبقى حضور جبهة المقاومة محسوسًا بشكل مباشر أو غير مباشر. وبذلك، تظهر إشكالية الانتقال من الهدف الإسرائيلي الأول (إضعاف سوريا والمقاومة) إلى الثاني (إخراج إيران والميليشيات من سوريا). إذ أدى هدف إضعاف سوريا ومحور المقاومة إلى زيادة تلاحم الحلفاء بدل افتراقهم وبذلك أصبح خروج إيران وحزب الله من سوريا، رغم القول به إسرائيليًّا، لا يؤمِّن المصلحة الإسرائيلية بإحداث شرخ داخل محور المقاومة. لذلك، تبدو المعضلة الإسرائيلية عصية على الحل حتى في الداخل الإسرائيلي إذ تُبرز خطابات مختلفة نتيجة تباين الأهداف الأولية والجديدة.

أما إيرانيًّا، وبعد تذبذب أولي استمر عدة أشهر، ومع إغلاق السفارة السعودية في دمشق، في أغسطس/آب 2011(8)، وإعلان تركيا مقاطعتها دمشق، وإعلان الرئيس أوباما أنه على الرئيس الأسد الرحيل(9)، برز الهدف الإيراني الذي بقي محوريًّا طيلة الأزمة السورية: الحفاظ على سوريا ضمن "محور المقاومة" عبر دعم دمشق. يتجذر هدف طهران الرئيسي من رؤيتها لسوريا التي عبَّر عنها المرشد الأعلى لدى لقائه الرئيس السوري في طهران: "إيران وسوريا عمق استراتيجي لبعضهما وترتبط هوية وقوة حركة المقاومة بهذه العلاقة المستمرة والاستراتيجية"(10). فاعتُبرت الأزمة السورية أزمة إيران في الإقليم وخطرًا متناميًا ضد طهران وحلفائها. ولذلك، تمحورت الاستراتيجية الإيرانية حول هدف الحفاظ على سوريا ضمن محور المقاومة ونُسجت بناءً عليه باقي الأهداف المرحلية لإيران.

أتت الأهداف الإيرانية وتطوراتها مجابهة للأولويات الإسرائيلية؛ فأمام دأب إسرائيل على إضعاف سوريا ومحور المقاومة، هدفت إيران إلى الدعم العسكري لسوريا وتقويتها عسكريًّا عبر نشر نموذج الحشد ومأسسته هناك. وتطورت أهداف طهران المرحلية مع تطور الأزمة. فقد انتقلت من الردع ومحاولة الحفاظ على المناطق المسيطر عليها من قبل دمشق إلى إعادة سلطة الدولة على باقي التراب السوري. كما انتقلت في المرحلة الجديدة إلى هدف أكثر اتساعًا هو موازنة القوات الأجنبية المتواجدة على الأرض السورية. وبناءً على هدف الموازنة لا تبدو طهران في عجالة للخروج من سوريا ما دام وجود القوات التركية والأميركية مستمرًّا. وثمة نقاش يأخذ شكل اتهام لطهران حول رغباتها التوسعية من البقاء في سوريا، وتفند ذلك طهران. وثمة ثلاثة أسباب لذلك التفنيد:

- **الأول**: أن التقليد الاستراتيجي الإيراني في المنطقة يقول بتقوية شوكة الحلفاء بدل الحضور المباشر لمواجهة الأعداء. ولذلك التقليد أمثلة كثيرة منها سياسة إيران في كل من لبنان والعراق بينما لا تجد نقيضًا له.

- **الثاني**: أن حضور القوات الإيرانية في سوريا جاء تلبية لحاجة سورية أمام خطر داهم. وستفقد طهران أي حاجة للبقاء بانتهاء ذلك الخطر كما حدث في العراق بعد هزيمة تنظيم الدولة حيث انسحبت إيران بالكامل.

- **الثالث**: أن تزايد الضغوط والحصار الاقتصادي المتمثل بسياسة الضغط الأقسى للولايات المتحدة لا يُشجع طهران على تغيير التقليد السائد في سياستها الإقليمية بل يدفعها للتمسك به لتقليص الأعباء.

لذلك، تقول طهران بأنها باقية ما دامت ثمة حاجة سورية تدعوها للبقاء. وبشكل عام، تأتي المواجهات الإسرائيلية-الإيرانية نتيجة تعارض أهدافهما في سوريا. وتبدو الأهداف الإسرائيلية أقل تماسكًا لتذبذبها بين الإضعاف من جهة والقول بضرورة خروج إيران من جهة أخرى. ولذلك، فإنها توجه استراتيجية لا تأتي بالضرورة بالنتائج المطلوبة إسرائيليًّا. أما إيرانيًّا، وبعد تحقيق هدف إبقاء سوريا ضمن محور المقاومة، انتقلت الأهداف المرحلية إلى موازنة باقي اللاعبين المؤثرين في سوريا وأهمهم تركيا والولايات المتحدة.

استراتيجيات متجابهة

تطورت الاستراتيجية الإسرائيلية مع تطور الأزمة السورية. ففي المرحلة الأولى وتماشيًا مع هدف إضعاف دمشق ومحور المقاومة، قامت تل أبيب بمجموعة من الإجراءات تضمنت دعم المعارضة عبر استضافة جرحى من التنظيمات المناوئة لدمشق والقيام بتسليح بعض تلك الجماعات، وفق تقارير نُشرت مؤخرًا(11). وعلى خلاف الدول العربية الباحثة عن

إسقاط دمشق، ركزت الاستراتيجية الإسرائيلية على الإضعاف بدل الإسقاط. ولذلك سبب رئيسي. فبينما يبقى البديل لسقوط دمشق سؤالًا مطروحًا يأتي بسيناريوهات متعددة، تؤثِّر دمشق الضعيفة سلبًا على قوة الجبهة المعادية لإسرائيل عملياتيًّا.

ودخلت الاستراتيجية الإسرائيلية المرحلة الثانية بعد تراجع الجماعات المعارضة وهزيمة تنظيم الدولة وتراجع جبهة فتح الشام "جفش" إلى إدلب. بدأت تل أبيب في هذه المرحلة بالتركيز على الحضور الإيراني وضرورة إنهائه وقامت بمجموعة إجراءات بغية تحقيق ذلك الهدف. فأولًا، وبعد إعلانها عدم تهاونها مع الحضور الإيراني في سوريا، قامت بتجييش إعلامي وسياسي واسع ضد هذا الحضور باعتبار نفسها المستهدفة. كما رحبت بالضربات الأميركية ضد قواعد سورية داعية إلى المزيد. وقامت ثانيًا باستهداف القوات الإيرانية على الأرض السورية وأوقعت عددًا منها بين قتيل وجريح رشح بعضها للعلن كالهجوم الذي استهدف قاعدة T4 في أبريل/نيسان 2018 أو الكسوة في مايو/أيار 2018. وازدادت ضرباتها كثرة مع اقتراب سوريا من نهاية الأزمة. وبينما تتزايد الروايات الإسرائيلية عن أهدافها، يزداد التركيز في تجييشها الإعلامي والسياسي وضرباتها الجوية على منع إقامة نموذج وقاعدة للمقاومة على شاكلة حزب الله اللبناني على الأرض السورية.

وتتصاعد احتمالات المواجهة باستمرار الضربات الإسرائيلية والردود المحتملة من قبل إيران وحلفائها. وثمة افتراضان يخرجان من الخطاب الإسرائيلي إزاء الحضور الإيراني في سوريا يتسمان بشيء من التناقض؛ ففي الافتراض الأول، تُعتبر إيران قوة صاعدة تبني نفوذًا يترامى من حدودها إلى البحر الأبيض يُغطي سوريا ولا يواجَه بقوة توازنه وتردعه. أما في الافتراض الثاني، تبدو إيران قوة منفعلة لا تمتلك مقومات تمكنها من الرد إن تلقت ضربات إسرائيلية في سوريا(12). ويمكن بناء سياستين مختلفتين تمامًا على أي من الافتراضين. وثمة أخطار واضحة في القول بأيهما خاصة إن استخفت بقوة إيران وحلفائها في الرد على الهجمات الإسرائيلية.

أما إيرانيًّا، فقد تطورت الاستراتيجية على مدى سنوات الأزمة السورية. بدأت إيران دعمها النظام السوري منذ نهايات 2011 بناءً على هدفها المحوري "إبقاء سوريا موحدة كجزء رئيسي من محور المقاومة"، وفسرت الأزمة السورية على أنها مؤامرة ضد طهران وحلفائها(13). ومرت الاستراتيجية الإيرانية المنسوجة لتحقيق هدفها الرئيسي في سوريا بمراحل أربعة منذ أغسطس/آب 2011:

- **مرحلة الحشد أولًا:** أمام تصاعد قوة الميليشيات المدعومة من أعدائها، قامت إيران بدعم القوات السورية في تشكيل ميليشيات مبنية على الحشد على قرار قوات البسيج الإيرانية بغية ردع القوة المتصاعدة والتقدم الملحوظ للميليشيات المعارضة. وتأسست تلك القوات في مناطق عدة وظهر تأثيرها في إيقاف زخم تقدم القوات المناوئة لدمشق منذ 2012. ولذلك أسباب أهمها أنها بُنيت على عقلية حشدية وكانت مؤثرة في حرب الشوارع أمام تكتيكات مشابهة استخدمت من قبل الميليشيات المعارضة.

- **مرحلة أقلمة الحشد ثانيًا:** مع اتضاح أن الميليشيات الداخلية لن تُحدث تغيرًا استراتيجيًّا في مسار الأزمة أبعد من تأثيرها الردعي في الحد من تقدم المعارضة، لجأت كل من سوريا وحلفائها إلى أقلمة الحشد بإدخال ميليشيات غير سورية إلى ساحة الصراع أو إحداثها على غرار الحادث على مستوى المعارضة من دولنة للقوات واستقطابها مقاتلين من أقصى بقاع الأرض. وقد دخل حزب الله اللبناني في نهايات 2012 وأحدث تغييرًا مهمًّا في مسار الأزمة بعد أول انتصار حققه على قوات المعارضة في القصير واعتبر أول انتصار استراتيجي غيَّر مسار الأزمة إلى حين. وجرى استحداث ميليشيات أخرى كـ"الفاطميون" و"الزينبيون"، ودخلت في مراحل لاحقة أجزاء من الحشد الشعبي العراقي.

- **مرحلة الدولنة ثالثًا:** مع تزايد الدعم الخارجي للمعارضة وزيادة تقدمها وطأة على سوريا وحلفائها خاصة بعد صعود الملك سلمان في المملكة السعودية، لجأت طهران للدولنة محاولة إدخال طرف دولي (روسيا)(14) أمام تزايد الانخراط والدعم الدولي والإقليمي للمعارضة عبر البوابة الكردية وباقي مناطق سيطرة المعارضة. هدفت الدولنة للإتيان بغطاء جوي يوازن الغطاء الأميركي والتركي للمعارضة ولإحداث توازن على المستوى الدولي في الأزمة السورية. وبالفعل أتت تلك الاستراتيجية بتغييرات مهمة أنهت إلى غير رجعة تقدم المعارضة في أغلب المناطق السورية.

- **مرحلة الموازنة رابعًا:** مع إعلان إنتهاء الحرب على تنظيم الدولة على لسان الجنرال قاسم سليماني(15)، دخلت إيران المرحلة الأخيرة من الأزمة السورية. تعنى هذه المرحلة بموازنة القوات الخارجية، الأميركية والإسرائيلية والتركية ذات الحضور والتأثير في المرحلة الجديدة؛ فقد أجاب المرشد الأعلى للثورة الإسلامية على رسالة الجنرال، سليماني، التي أعلن من خلالها نهاية داعش، على ضرورة التركيز على أخطار المرحلة الجديدة(16). وهو أمر كرَّره لدى لقائه الرئيس، بشار الأسد، في طهران بالقول: إن "غضب الولايات المتحدة من انتصار المقاومة سيأتي بمؤامرات جديدة مشيرًا إلى دأب واشنطن إحداث منطقة عازلة كنموذج لتلك المؤامرات التي يجب رفضها والوقوف أمامها"(17). بذلك، يمكن توقع استمرار الحضور الإيراني في سوريا بغية الموازنة حتى إزالة تهديد الحضور الأميركي والتركي في الشمال السوري.

جابهت إيران في كل المراحل السابقة الأولويات الإسرائيلية في سوريا ووصلت في المرحلة الرابعة إلى مواجهات مستمرة ومباشرة معها. وتفتح تلك المواجهة باب التكهنات حول مستقبلها إذ تأتي الخيارات الإيرانية بمجموعة من السيناريوهات إلى الواجهة لكل منها تأثيرات إقليمية وتداعيات على مستقبل المواجهة. فما تلك السيناريوهات؟ وأيها الأرجح؟

حقائق جديدة وسيناريوهات مستقبلية

استحدثت الأزمة السورية حقائق جديدة يمكن اعتبارها نقاطًا محورية تؤثر على مستقبل الصراع الإيراني-الإسرائيلي في سوريا وما وراءها، كما تؤثر في رسم ملامح المرحلة المقبلة وسيناريوهاتها في سوريا والمنطقة بشكل عام. لذلك، وجب رصدها قبل الخوض في السيناريوهات المستقبلية:

النقطة الأولى: هي انتقال إيران ومحور المقاومة المتدرج إلى مواجهات إقليمية جديدة في مرحلة تزايد الضغوط الخارجية على سوريا وحلفائها بعد اقتراب الحرب إلى نهاياتها. فبانتهاء تنظيم الدولة وتضاؤل قوة جبهة فتح الشام "جفش"، تزداد موازنة اللاعب الخارجي أهمية. وبذلك يحل التركيز على اللاعب الإقليمي مكان اللاعب الداخلي لدى محور المقاومة. أي إن اللاعب الداخلي (المدعوم خارجيًّا) يخرج من اللعبة ليدخل الخارج الداعم له مباشرة إلى المعادلة السورية والتخطيط الاستراتيجي لمحور المقاومة.

النقطة الثانية: هي تحرك محور المقاومة وفق أولوياتٍ تتحدد بين أعضائه ولا تُفرض عليه من الخارج. فعلى خلاف الرائج إعلاميًّا، اتضح أن التعاون الاستراتيجي القائم بين روسيا وإيران لا يمنع الأخيرة وحلفاءها من التحرك وفق أولوياتهم أمام التصعيد الإسرائيلي. ويعني ذلك أن للتنسيق الروسي-الإسرائيلي سقفًا لا يغطي أولويات محور المقاومة أمام الهجمات الإسرائيلية في ترسيخ موازنة التهديد بغية الردع.

النقطة الثالثة: هي أن ذلك لا يعني بالضرورة اصطدام إيران وحلفائها بأولويات روسيا في المدى المنظور. بل من الواضح أن القيادة الإيرانية ترى في التعاون القائم بينها وبين موسكو فرصة مهمة تضيف لمحور المقاومة في موازنة الضغوط الغربية والأميركية على وجه الخصوص. ورغم صعوبة المهمة، يجري العمل على جعل استقلال القرار النهائي لمحور المقاومة غير متعارض مع العلاقات المتصاعدة مع روسيا. فإنْ تقاطَعَ استقلال القرار بالتعاون مع روسيا رغم ذلك، يبدو أن الاستقلال سيكون الخيار الأمثل والأرجح لدى محور المقاومة.

النقطة الرابعة: هي أن القوات الإيرانية المنضوية ضمن محور المقاومة ستبقى في سوريا حتى استعادة دمشق سيادتها على كامل التراب السوري. فمع ازدياد الضربات الإسرائيلية وبدل الانسحاب، تعلن طهران أنها باقية وأن بقاءها منسق مع دمشق باعتبارها صاحبة القرار(18). ويبدو القرار منسقًا مع روسيا أيضًا إذ أعلن رئيس جمهوريتها مخاطبًا رئيس الوزراء الإسرائيلي أن إيران ستبقى في سوريا(19). ويمكن اعتبار موازنة الحضور التركي والأميركي على التراب السوري هي الحاجة الداعية لاستمرار الحضور الإيراني والتأييد السوري والروسي له.

وبناءً على هذه المستجدات وفي ظل الظرف الراهن من الأزمة السورية، ثمة عنصران يمكن بناء السيناريوهات المستقبلية علي اتجاههما صعودًا أو نزولًا: أولًا: زيادة أو انحدار شدة الضربات الإسرائيلية على الأهداف السورية والإيرانية. وثانيًا: تصاعد أو تراجع دور اللاعب الدولي (روسيا والولايات المتحدة) في الحد من اتساع المواجهات المحتملة. ويمكن رسم أربعة سيناريوهات بناءً على تلك الاتجاهات نردفها من الأكثر إلى الأقل رجحانًا وفق المعطيات المتوفرة.

أولًا: تزايد الضربات الإسرائيلية شدة: مع تصاعد دور الأطراف الدولية للحدِّ من اتساع المواجهة. ويمكن اعتبار هذا السيناريو استمرارًا للواقع الحالي للصراع. وأمام تزايد الضربات الإسرائيلية، تزداد احتمالات رد محور المقاومة بطرق مختلفة. فقد ازدادت الهجمات الجوية والصاروخية لإسرائيل ضد مواقع القوات السورية والإيرانية وحزب الله ورد محور المقاومة على تلك الهجمات بعمليات قل نظيرها في السابق. وفي الحالتين كان للتدخل والوساطة الروسيتين دور حال دون تفاقم المواجهات. ويمكن توقع مواجهات حادة في مثل هذا السيناريو كإسقاط المقاتلة الإسرائيلية والمناوشات التي تلتها والهجمة الصاروخية على المواقع الإسرائيلية في الجولان.

ثانيًا: تقلص شدة الضربات الإسرائيلية وتصاعد دور واهتمام الأطراف الدولية للحد من اتساع المواجهة. وينحدر في هذا السيناريو مستوى عدم اليقين ويزداد فيه دور اللاعب الدولي لصالح إيقاف الهرولة غير المدروسة نحو الحرب. فمع تراجع الهجمات الإسرائيلية، يتراجع محور المقاومة عن استهداف إسرائيل -حتى الإنتهاء من الأولويات الرئيسية في سوريا على الأقل. أي إن هذا السيناريو سيزيد من تركيز إيران وحلفائها على موازنة القوات الأميركية والتركية وحلفائهما على الأرض في الشمال السوري بدل فتح جبهة جديدة مع إسرائيل. وتنسجم التقارير المنشورة حول الوساطة الروسية لتهدئة جبهة الجولان مع هذا السيناريو إذ تزيد من دور روسيا كلاعب دولي وسيط وتُقلِّص من احتمالات المواجهة.

ثالثًا: تزايد شدة الضربات الإسرائيلية مع تقلص دور واهتمام الأطراف الدولية في الحد من اتساع المواجهة. يزداد هذا السيناريو احتمالًا مع تزايد الضربات الإسرائيلية في الآونة الأخيرة والتراجع الملحوظ في التنسيق بين محور المقاومة وروسيا فيما يخص الرد على إسرائيل. كما أن واقع نزوع الولايات المتحدة للانسحاب من سوريا -رغم عدم تأكيده حتى الآن- قد يدفع جانبي الصراع في اتجاه التصعيد. فتزيد إسرائيل الباحثة عن الانسحاب الإيراني من هجماتها لحمل واشنطن على البقاء منعًا لاحتمالات الحرب الشاملة ودفاعًا عن إسرائيل أمام الخطر المتنامي لمحور المقاومة، وترد إيران وحلفاؤها على التصعيد الإسرائيلي بغية الردع وموازنة التهديد. وبذلك، قد تنتقل أية مواجهة محدودة في هذا السيناريو إلى حرب شاملة.

رابعًا: تقلص شدة الضربات الإسرائيلية وتقلص اهتمام الأطراف الدولية بالحد من اتساع المواجهات المحتملة. تتراجع في هذا السيناريو احتمالات الحرب بين طرفي الصراع لتراجع المناوشات العسكرية بينهما. إلا أن عنصر عدم اليقين يبقى قائمًا ومؤثرًا خاصة في ظل غياب دور اللاعب الدولي للحد من اتساع الصراعات التي قد تنشب بشكل غير مقصود.

***د. حسن أحمديان**، باحث وأستاذ جامعي إيراني.

المراجع

1- (1) "إسرائيل: 200 حمله با 800 موشك به اهداف إيراني در سوريه در دو سال گذشته" (إسرائيل: 200 هجمة بـ 800 صاروخ على الأهداف الإيرانية في سوريا في غضون العامين الماضيين)، موقع عصر إيران، 14 شهريور 1397، (تاريخ الدخول 18 أبريل/نيسان 2019):https://www.asriran.com/fa/news/630076/اسرائيل-200-حمله-با-800-موشك-به-اهداف-ايراني-در-سوريه-در-2-سال-گذشته

2- "Israeli F-16 jet shot down by Syria fire, says military," AlJazeera, February 10, 2018.https://www.aljazeera.com/news/2018/02/israel-shot-iranian-drone-syria-180210053946323.html

3- "Israel Strikes Iran in Syria and Loses a Jet," The New York Times, February 10, 2018. https://www.nytimes.com/2018/02/10/world/middleeast/israel-iran-syria.html

4- "نصر الله: ما قبل إسقاط الطائرة الإسرائيلية بسوريا ليس كبعده"، سي إن إن العربية، 16 فبراير/شباط 2018، (تاريخ الدخول: 24 ا(بريل/نيسان 2019):https://arabic.cnn.com/middle-east/2018/02/16/hassan-nasrullah-israel-jet-down

5- "حسن نصر الله يكشف عدد الصواريخ التي قصفت إسرائيل من سوريا"، سبوتنيك عربية، 14 مايو/أيار 2018، (تاريخ الدخول: 24 ابريل/ نيسان 2019):https://arabic.sputniknews.com/arab_world/201805141032344795-نصر-الله-يكشف-عدد-الصواريخ-إسرائيل/

6- "عمليات مقاومت در جولان واكنش محدودي به جنايات رژيم صهيونيستي بود" (عملية المقاومة في الجولان ردة فعل محدودة على جرائم الكيان الصهيوني) موقع مشرق نيوز، 21 أرديبهشت 1397، (تاريخ الدخول 24 أبريل/نيسان 2019):https://www.mashreghnews.ir/news/854278/عمليات-مقاومت-در-جولان-واكنش-محدودى-به-جنايات-رژيم-صهيونيستى-بود

7- "Under the Microscope: Israel's Role in the Syrian Conflict," Sputnik, July 17, 2017. https://sputniknews.com/analysis/201709171057461266-syria-israel-policy-russia-iran/

8- أسماء الشريف، "السعودية تسحب سفيرها من سوريا وتندد بالعنف" رويترز، 8 أغسطس/آب 2011، (تاريخ الدخول 24نيسان/ ابريل 2019):https://ara.reuters.com/article/topNews/idARACAE77700E20110808

9- Macon Phillips, "The future of Syria must be determined by its people, but President Bashar al-Assad is standing in their way," The White House, August 18, 2011. https://obamawhitehouse.archives.gov/blog/2011/08/18/president-obama-future-syria-must-be-determined-its-people-president-bashar-al-assad

10- "ديدار رئيس جمهور سوريه با رهبر انقلاب" (لقاء رئيس جمهورية سوريا بقائد الثورة) موقع Khamenei.ir، 6 اسفند 1397، (تاريخ الدخول 22 أبريل/نيسان 2018):http://farsi.khamenei.ir/news-content?id=41796

11- "إسرائيل تسلح وتمول معارضين سوريين" موقع الجزيرة، 7 سبتمبر/أيلول 2018، (تاريخ الدخول:22 ابريل/ نيسان 2018):https://www.aljazeera.net/news/presstour/2018/9/7/فورين-بوليسي-إسرائيل-تسلح-وتمول-معارضين-سوريين

12- Payam Mohseni and Hassan Ahmadian "What Iran Really Wants in Syria," Foreign Policy, May 10, 2018. https://foreignpolicy.com/2018/05/10/what-iran-really-wants-in-syria/

13- "پيروزى محور مقاومت، خنثىكننده توطئه بزرگ عليه جهان اسلام" (نصر محور المقاومة هو إبطال لمفعول المؤامرة الكبرى ضد العالم الإسلامي) وكالة أنباء صدا وسيما، 17 آبان 1396، (تاريخ الدخول: 18 أبريل/نيسان 2019): اضغط هنا

- "رييس جمهورى در ديدار نخست وزير سوريه: تهران از گسترش همكارى هاى اقتصادى با دمشق استقبال مى كند" (رئيس الجمهورية عند لقاء رئيس الوزراء السوري: طهران ترحب بتوسيع التعاون الاقتصادي مع دمشق) موقع رئاسة الجمهورية، 25 آذر 1393، (تاريخ الدخول: 21 أبريل/نيسان 2019):http://president.ir/fa/83124/printable

14- "ديدار سه ساعته پوتين و سردار سليمانى در مسكو؛ كليد حمله روسيه به سوريه" (لقاء الثلاثة ساعات بين بوتين وسليماني في موسكو؛ مفتاح دخول روسيا إلى سوريا)، وكالة أنباء باشگاه خبرنگاران جوان، 16 مهر 1394، (تاريخ الدخول: 21 أبريل/نيسان 2019):https://www.yjc.ir/fa/news/5350142/ديدار-سه-ساعته-پوتين-و-سردار-سليمانى-در-مسكو-كليد-حمله-روسيه-به-سوريه

15- "سردار سليمانى در پيامى به امام خامنه‌اى پايان داعش را رسمًا اعلام كرد" (في رسالة إلى الإمام خامنئي أعلن الجنرال سليماني رسميًّا انتهاء داعش)، وكالة أنباء تسنيم، 30 آبان 1396، (تاريخ الدخول: 21 أبريل/نيسان 2019):https://www.tasnimnews.com/fa/news/1396/08/30/1579491/سردار-سليمانى-در-پيامى-به-امام-خامنه-اى-پايان-داعش-را-رسمًا-اعلام-كرد

16- "پاسخ رهبر انقلاب به نامه سرلشكر قاسم سليمانى درباره پايان سيطره داعش" (رد قائد الثورة على رسالة اللواء قاسم سليماني حول انتهاء سيطرة داعش)، موقع Khamenei.ir، 20 آبان 1396، (تاريخ الدخول: 22 أبريل/نيسان 2019):http://farsi.khamenei.ir/message-content?id=38249

17- "ديدار رئيس جمهور سوريه با رهبر انقلاب" (لقاء رئيس جمهورية سوريا بقائد الثورة)، موقع Khamenei.ir، 6 اسفند 1397، (تاريخ الدخول: 22 أبريل/نيسان 2019):http://farsi.khamenei.ir/news-content?id=41796

18- "پاسخ دندان شكن سرلشكر جعفرى به تهديدات نتانياهو" (رد اللواء جعفري المزلزل على تهديدات نتنياهو)، صحيفة دنياي اقتصاد، 26 دي 1397، (تاريخ الدخول: 23 أبريل/نيسان 2019):https://donya-e-eqtesad.com/بخش-سايت-خوان-62-3486890/پاسخ-دندان-شكن-سرلشكر-جعفرى-به-تهديدات-نتانياهو

"ايران تا زمانى كه حكومت سوريه بخواهد در سوريه مى‌ماند" (ستبقى إيران في سوريا ما دامت الحكومة السورية تريد ذلك)، موقع ParsToday، 20 خرداد 1397، (تاريخ الدخول: 26 أبريل/نيسان 2019): http://parstoday.com/dari/news/middle_east-i76886

19- "پوتين خطاب به نتنياهو: ايران تا آزادسازى كامل در سوريه مى ماند"(بوتين مخاطبًا نتنياهو: إيران ستبقى في سوريا حتى تحريرها بالكامل"، ديپلماسي إيراني، 6 مرداد 1397، (تاريخ الدخول: 29 أبريل/نيسان 2019): http://irdiplomacy.ir/fa/news/1977963/ايران-تا-آزادسازى-كامل-در-سوريه-مى-ماند